بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس: 52 الأستاذ: سماحة العلامة الشيخ معين دقيق

الدرس: تفسير القرآن الكريم المبحث: سورة الإنسان

التاريخ:**11\10\2023** م كتبه: عبدالله ضيف الستري

ما زال البحث في الآية السادسة ﴿قَواريرَا مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوها تَقْديرا﴾.

في هذه الآية يظهر من تتبع كلماتهم أنه يوجد خلاف في مسألتين:

المسألة الأولى: في فاعل التقدير، من الذي قدر تلك القوارير؟

المسألة الثانية: في متعلق التقدير، هل المقدَّر هي الأكواب أم أن المقدر هو السائل في الأكواب؟

أما بالنسبة للمسألة الأولى، فيتصّيد من كلماتهم أقوال ثلاثة:

الأول: أن الضمير يرجع إلى المنعمين، هم الأبرار.

الثاني: أن الضمير يرجع إلى الطائفين.

الثالث: أن الضمير يرجع إلى الملائكة.

وتارة هناك من يرى أن الذي يقدر الأكواب هم المنعمون أنفسهم، وقول يرى أن الذي يقدّر الأكواب هم الطائفون بها، وقول ثالث أن المقدِّر للأكواب هم الملائكة. هذه الأقوال الثلاثة لم يشر إليها عند الجميع، البعض اكتفى بالمنعمين والذين يطوفون؛ لأن هناك بحث أنه عندما نقول في الجنة يوجد ولدان مخلدون، كما في سورة الواقعة، بمعنى في آذانهم الأقراط الخالدة، فهؤلاء الولدان من هم؟ ما هي حقيقتهم؟ هل هم من الناس الذين كانوا في هذه الدنيا (من الإنسان) أم هم من الملائكة؟ فالملائكة لهم وظائف متعددة، طائفة من الملائكة مخصصة بقبض الأرواح، طائفة من الملائكة مخصصة بإنزال الوحي، طائفة من الملائكة مخصصة لخزنة جهنم، وهكذا. قد يكون هناك طائفة من الملائكة مخصصة للخدمة. ويوجد بحث بينهم ليس محل هنا.

فمن يرى أن الولدان الذين يخدمون الأبرار من صنف الملائكة فلا معنى لأن نقول يوجد ثلاثة أقوال، فيوجد قولين.

فما هو الظاهر من الآية؟ ما عندنا رواية معتبرة صريحة أو ظاهرة تحسم لنا هذا النزاع. الآية التي قبلها تقول ﴿وَيُطافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوابٍ كانَتْ قَواريرَا﴾ نلاحظ أن الفعل أُسند إلى المجهول، وهو ﴿وَيُطافُ﴾ وعادة الفعل يسند إلى المجهول إما للجهل بالفاعل، وهذا بالنسبة لي ولك ممكن، أما بالنسبة إلى الله سبحانه وتعالى غير ممكن.

وإما لعدم تعلق غرض للمتكلم في معرفة وتعيين الفاعل، كما هنا ﴿وَيُطافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ﴾ الغرض تعلق بنوع التنعيم، أن هؤلاء يجلسون تحت الأرائك، لا يرون شمساً ولا زمهريراً، وإذا بآنية يطاف بها عليهم، وأما من الذي يطوف فلم يتعلق غرض بذكر الطائف؛ لذا بنى الفعل للمجهول.

لما بني الفعل للمجهول،

هناك قراءة لهذه كلمة ﴿قَدَّرُوها﴾، وهي قُدِّرُوهَا، فعلى القراءة المشهورة المعروفة، صحيح أن يطاف تقتضي وجود طائف، لكن لم يتعلق الكلام وغرض الكلام بذكره معرفته، حتى تأتي الآية الثانية لتذكر فعل هذا الطائف. فيمكن -ولا يبعد- أن يكون المراد من الآية أن هؤلاء المنعمين أعمالهم في هذه الدنيا هم قدّروا نعيمهم في الآخرة. وهناك آيات كثيرة تدل على مثل هذا المعنى؛ إذ الآخرة مزرعة الآخرة، فما تزرعه هنا تحصده في الآخرة.

فيقرب إلى الذهن -لكن لا على نحو البت والجزم- أن تكون الآية ناظرة إلى فعل المنعم نفسه، فتقديره لا يخلو إما أنه تقدير في الدنيا من خلال عمله وإما تقدير ما اجتهد به نفسه. وهناك بعض الروايات تدل أنه ما يخطر على بالك في الجنة يقدم لك، فيكون هذا التقدير من باب الاشتهاء، هم الذين اشتهوا هذا الشيء فقدم لهم. ولا يوجد غرض من المقدِّم، هذا المعنى لا نستطيع أن نجزم به.

فلهذا الخلاف الأول ليس خلافاً يقتضي تغير المعنى والمعاني في هذه الآية.

أما بالنسبة للمسألة الثانية، ﴿قَدَّرُوها﴾ -مع قطع النظر عن الخلاف الأول ومن هو المقدِّر- هل قدّروا الأكواب أم قدروا السوائل في الأكواب؟ قدّروا الأكواب فذكر بعضهم بأن كانت هذه الأكواب بمقدار الكف أو أصغر من الكف، بحيث يسهل حملها، فالتقدير كان للأكواب.

ويستشهد لذلك أن هذا ظاهر الكلام، ﴿قَدَّرُوها﴾ الضمير يرجع إلى الأكواب، فلا نحتاج إلى مزيد بحث.

لكن لما كانت طبيعة الكوب تشبه طبيعة المرآة، كما أن النظر إلى المرآة نظرة آلية وليست نظرة استقلالية، فالمهم أن أرى الصورة في المرآة، فالكوب المهم هو ما يحتوي وما يشتمل عليه. في الآية السابقة بيّنت نوعية هذا الكوب، وأنه قارورة شفافة، يرى من خلالها، وهي من فضة.

فتلاحظ أن التعبير بالقارورة حافظ على كون الكوب ينظر إليه كآلة ووسيلة، أنك ترى من خلاله السائل، وهذا في حد ذاته منظر جميل، وفي حد ذاته يشوقك إلى الشراب الموجود فيه. فيكون تقدير الشراب أنسب لتنعيم هؤلاء من مجرد تقدير الأكواب، أن هذه الأكواب كانت بمقدار حاجتهم، وبمقدار ريهم، قدرت بطريقة يلتذون بها، ويحصل لهم ما يشتهونه منها، وهذا إنما يرتبط بالأكواب بلحاظ السائل الذي فيه.

وإلا مجرد أن يطاف عليهم بأكواب كانت خالية، لا يكون هذا الغاية في التنعيم، فالغاية في التنعيم أن يقدّر السائل؛ لذا الآية التي بعدها -والتي سوف يأتي الحديث عنها- ﴿وَيُسْقَوْنَ فيها كَأْساً كانَ مِزاجُها زَنْجَبيلاً﴾ هو صرّح ﴿كَأْساً﴾ فهل نقول الضمير في ﴿مِزاجُها﴾ يرجع إلى الكأس بلحاظ ذاتها، الكأس هو الذي خليطه زنجبيل أو ما يوجد في الكأس؟

فالأنسب إذاً أن يكون التقدير بلحاظ السائل والشراب الموجود في هذه القوارير وفي هذه الأكواب.

الآية السابعة عشر: ﴿وَيُسْقَوْنَ فيها كَأْساً كانَ مِزاجُها زَنْجَبيلاً﴾.

لفهم هذه الآية المباركة نطرح بعض التساؤلات:

التساؤل الأول: هل يوجد فرق بين الكأس وبين الكوب؟ في الآيتين السابقتين عرفنا أن هؤلاء يقدم لهم آنية وأكواب، وهذه الأكواب كانت قوارير، ومصنوعة من فضة، وقدّرت السوائل التي فيها بحيث تتناسب مع مزاجهم واشتهائهم.

وفي هذه الآية ما زال الكلام عن النعم التي أعدّها الله سبحانه لهؤلاء، فقال: ﴿وَيُسْقَوْنَ فيها كَأْساً كانَ مِزاجُها زَنْجَبيلاً﴾ فهل الكؤوس والأكواب والآنية مختلفة؟

التساؤل الثاني: مرجع الضمير في قوله ﴿وَيُسْقَوْنَ فيها﴾.

التساؤل الثالث: الإنسان عندما يعبر عن خليط وعن مزيج -في العادة- لا يشير إلى مادة واحدة، تقدم شراباً في البيت لشخص، فيسألك ما هذا؟ تقول له: هذا خليط من عصير الأناناس والبرتقال والرمان. أما أن تقول هذا مزيج وخليط الرمان، خليط الرمان مع ماذا.

فللوهلة الأولى قد يتوجه الذهن إلى هذا الإشكال في الآية المباركة، أنه يقول ﴿كانَ مِزاجُها زَنْجَبيلاً﴾ فكيف نجيب عن هذا التساؤل؟

التساؤل الرابع: الموقعية السياقية لهذه الآية المباركة مع الآيات السابقة.

هذه التساؤلات نعرضها في الدرس اللاحق.